

من الحيادية الجنسية في العلم إلى إتيقا للاختلاف عند لوس إيريغاراي

فارس أمينة¹

جامعة باتنة 1، الجزائر

amina.fares025@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025 /06 /22؛ تاريخ القبول: 2025 /08 /29

**From gender neutrality in science to an ethics of
difference according to Luce Irigaray,**

Fares Amina.

Abstract:

Contemporary Western feminist thought has challenged patriarchal systems that have historically prioritized men while marginalizing women. In Western intellectual traditions—spanning religion, history, language, philosophy, science, and technology—men have dominated, and women have often been characterized negatively as irrational, emotional, or invisible. These portrayals reflect a deeply entrenched patriarchal framework that presents itself as gender-neutral while systematically excluding the feminine. In response, French philosopher and psychoanalyst Luce Irigaray (b. 1932) critically reexamined Western philosophical discourse. Through her deconstructive approach, she revealed the masculine bias embedded in knowledge and science. Irigaray advocated for an ethical model that embraces sexual difference, allowing both men and women to engage equally in the production and understanding of knowledge. She emphasized the need for a relational model based on mutual recognition and

Almawaqif

respect, moving beyond a singular, male-dominated subjectivity toward a balanced framework that acknowledges the existence of “two” distinct yet equal subjects.

Keywords: Western feminist thought; science; gender neutrality; Luce Irigaray; sexual difference.

الملخص:

عمل الفكر النسوي الغربي المعاصر على نقد وخلخلة الأنظمة والخطابات الذكورية لأنها أعلنت من قيمة ودور الرجل /الذكر/ الأب وأحطت من مكانة ودور المرأة /الأنثى/ الأم، فقد هيمن الذكر عبر تاريخ الفكر الفلسفي الغربي على جميع مجالات المعرفة الإنسانية مثلما هو الحال في: "الدين، التاريخ، اللغة، الفكر، العلم، التقنية وغيرها، في حين بقيت المرأة في تبعية و خضوع تام للنسق المعرفي الذكوري، كما أنها وُصفت بصفات سلبية أو دونية نذكر منها: اللاعقل، الانفعالية، اللامرئية، ... هذه الهيرارشية والحيادية الجنسية دفعت بالفيلسوفة والمحللة النفسانية الفرنسية المعاصرة "لوس إيريجاراي" 1932 إلى إعادة قراءة الفكر الفلسفي الغربي، قراءة تفكيكية نقدية، من أجل الكشف عن البنية الذكورية أو الأبوية التي سيطرت باستمرار على العلم والمعرفة، والتي استبعدت بدورها المؤنث من دائرتها ومجالها، محاولة بناء أخلاقيات في العلم، يساهم فيها كلا الجنسين دون استثناء، ضمن علاقة بين ذاتية يسودها احترام الاختلاف الجنسي، والاعتراف بوجود إثنين.

الكلمات المفتاحية: الفكر النسوي الغربي؛ العلم؛ الحيادية الجنسية؛ لوس إيريجاراي؛ الاختلاف الجنسي.

مقدمة

تُعتبر النسوية حركة فكرية واجتماعية ، عملت عبر تاريخ الفكر الفلسفي على إعادة قراءة الخطابات المعرفية ، بالاعتماد على مناهج نقدية تفكيكية ، من أجل إبراز وجود سيطرة ذكورية على المعرفة والعلم ، واستبعادا للأنثوي من الساحة الفكرية، وتعتبر الفيلسوفة الفرنسية لوس إيريفاراي إحدى الناقداات للنظام الذكوري المستحوز على العلم ، فمن خلال قراءتها الهرمونيوطيقية لتاريخ الفكر الغربي، كشفت كيف أن الحيادية العلمية تخفي في طياتها انحيازاً ذكورياً بنيوياً.

من خلال مفهومها المحوري «الاختلاف الجنسي»، أكدت إيريفاراي على أن الفكر المعرفي الغربي، بما في ذلك العلوم الطبيعية والإنسانية أنكرت هذا الاختلاف، حيث تم تمثيل الذكر كمقياس معياري وحيد للموضوع المعرفي ، بينما تهتمش وتمحى الذات الأنثوية.

يهدف هذا البحث إلى تفكيك الحيادية الجنسية في العلم، والكشف عن تغيب للاختلاف بين الجنسين في إنتاج المعرفة العلمية، وهذا على ضوء نقد إيريفاراي للأنظمة الأبوية، ودعوتها إلى احترام الاختلاف الجنسي كمبدأ طبيعي، كوني وعالمي.

وعليه فهذا البحث سينطلق من الإشكالية التالية: كيف يمكن للاختلاف الجنسي عند لوس إيريفاراي أن يتجاوز الحيادية الجنسية في العلم؟

هذه الإشكالية يمكن أن تتفرع إلى عدة إشكالات فرعية:

أين تتجلى الحيادية الجنسية في العلم؟

ما هو أثر الحيادية الجنسية على الاختلافات الجندرية؟

ما طبيعة الاختلاف الجنسي عند إيريفاراي؟

ما هي تجليات إتيقا الاختلاف الجنسي عند إيريفاراي؟

إلى أي مدى استطاعت إيريفاراي تجاوز الحياد الذكوري في العلم؟ وهل من الممكن تطبيق مبدأ الاختلاف الجنسي في واقعنا العربي؟

ومن أجل الإجابة على هذه الإشكالات سنقدم أولا نبذة موجزة عن حياة الفيلسوفة إيريفاراي، وأهم أعمالها، وفلسفتها.

ثانيا، سنعرض الحيادية الجنسية في العلم، مبرزين نقد إيريفاراي للمركزية الذكورية في الخطاب المعرفي. ثالثا، سنوضح تصورها للاختلاف الجنسي كبديل إتيقي للحياد الذكوري في العلم.

ولقد اعتمدنا على المنهج التحليلي كمنهج أساسي في هذا البحث العلمي ، حيث يتجلى خاصة في فحص وعرض أفكار و آراء لوس إيريفاراي النقدية للحياد الذكوري في العلم، وتحليل مفهوم وطبيعة الاختلاف الجنسي وتجلياته الأخلاقية، كما اعتمدنا على المنهج النقدي في مناقشة البديل الذي اقترحه إيريفاراي ، للخروج من التمرکز الذكوري في العلم.

1- لوس إيريفاراي ، الخلفية الفكرية والفلسفية

أولا: حياتها

لوس إيريفاراي فيلسوفة ومحللة نفسية فرنسية، ولدت في بلجيكا عام 1932(سارة جامبل، 2002، صفحة 376)، تحصلت على درجة ما بعد

الثانوية في الفلسفة والأدب من جامعة لوفان عام 1954، وقد كتبت أطروحتها في الدراسات العليا حول الشاعر الفرنسي بول فاليري، في إطار التحضير للعمل كمدرسة بالمدارس الثانوية، بين 1956 و 1959 درست إيريجاراي في المدرسة العليا في بروكسل قبل دخولها جامعة باريس 1961، حيث حازت على دبلوم في علم النفس المرضي (محمد ، 2017، صفحة 323)، وهذا ما أثر على توجهها الفلسفي ،الذي يعتمد بالأساس على نقد علم النفس خاصة التحليل النفسي لفرويد.

درست إيريجاراي في جامعة باريس في فانسان ما بين 1969 و 1974، وفي نفس الوقت شاركت في حركة تحرير النساء في فرنسا، وبعد حصولها على شهادة الدكتوراه، بدأت في تحضير دكتوراه ثانية في التحليل النفسي، التي أصبحت لاحقا معروفة باسم: «سيكولوجية الأنوثة ،مرأة المرأة الأخرى» «spéculum de l'autre femme»، والتي أحدثت جدلا كبيرا بين أصحاب نظرية التحليل النفسي (محمد ، 2017، الصفحات 323-324).

ونتيجة لأفكارها النقدية للتحليل النفسي، تم طرد إيريجاراي من المدرسة الفرويدية، وإنهاء منصبها في التدريس، ولكن رغم ذلك واصلت مهنة التحليل النفسي، واستقبلت كأستاذة زائرة في العديد من الجامعات في أوروبا وشمال أمريكا، كما استمرت في الكتابة ضمن مجموعة من التخصصات الأكاديمية مثل الدراسات النسوية، اللسانيات والتحليل النفسي (محمد بكاي و آخرون، 2013، صفحة 423 وغيرها)، وعليه فاستمرارها في المجال النسوي دليل على إصرارها على فضح التمرکز الذكوري في مختلف ميادين العلم واللغة والمعرفة.

ثانيا: أهم أعمالها

لإيريغاراي العديد من المؤلفات نذكر منها:

«إثيقا الاختلاف الجنسي» Ethique de la différence sexuelle سنة 1983 في هذا الكتاب حققت في التحيزات الذكورية في البلاغة الخطابية. وفي عملها: «التكلم ليس دائما موضوعيا» Parler n'est jamais neutre عام 1985، تقول إن مسألة التنوع في السياق الاجتماعي، قد تؤثر في الأشكال اللسانية والاستعمالات الخطابية للذوات «رجالا أونساء». أما في كتابها «الأجناس والقرباة» Sexes et parentés عام 1987 فقد أكدت على نموذج الذات الأنثوية، الذي اقترحته في كتابها «سيكولوجية الأنوثة مرآة المرأة الأخرى» (محمد بكاي و آخرون، 2013، صفحة 425).

وبدأ بكتبتها التالية «زمن الاختلاف: من أجل ثورة هادئة» Le temps de la différence: pour une révolution pacifique عام 1989، و«أنا، أنت، نحن: نحو ثقافة الاختلاف» Je, tu, nous: pour une culture de la différence عام 1990، عملت بشكل متزايد على تحليل الأنظمة التمثيلية ومصالح الهرمية والطبقية للنظام الاجتماعي الذي بناها وأقامها، كما طورت فكرة التبادل بين الجنسين، المبنية على تقدير جديد للدور الذي لعبته المرأة في الثقافة (Simon Glendinning, 1999, p. 642)

كما نجد مؤلفات أخرى مثل : أنا أحب إليك "J'aime à toi" ، و"زفرات النساء" Le souffle des femmes عام 1996، و"بين الشرق والغرب" Entre l'orient et l'occident "من الفردانية إلى المجتمعية" de la singularité à la communaut عام 1999.

ثالثا: فلسفتها

تتميز فلسفة إيريجاراي بالدعوة إلى تكريس الاختلاف الجنسي، فهذه القضية تُعتبر من أهم مساهماتها في الفكر الفلسفي (Elspeth Mitchel, p. 36)، وقد نظرت إلى الاختلاف الجنسي على أنه واحد من أبرز وأهم القضايا الفلسفية في عصرنا، حيث يعدّ موضوعا كامنا ومتجذرا في العديد من المشكلات التي تواجه المجتمعات المعاصرة، كما شجعت كل من النساء والرجال على إعادة تكوين أفكارهم حول علاقتهم مع المجتمع، لذلك فقد اهتمت إيريجاراي بالهوية الجنسية ، إذ تعتبرها من أهم الموضوعات التي يجب مناقشتها في أيامنا هذه(محمد ، 2017، صفحة 328)، خاصة أن الذوات الذكورية والأنثوية أصبحت مشكلة ثقافيا وبيولوجيا، وعلمية عملية فرض هوية مصطنعة ومزيفة على المرأة، أدت إلى خلق ثنائية اجتماعية ، تضعها خارج السياق الاجتماعي والفكري والعلمي.

كما تتميز فلسفة إيريجاراي بالطابع الأخلاقي، فقد أرادت رسم أخلاق خاصة، وتأسيس بديل أنطولوجي للخطاب الفلسفي الغربي (Eleanor H & Kuy Kendall, 1989, p. 30)، مع إعادة الاهتمام بالمرأة أخلاقيا، ففي كتابها «إثيقا للاختلاف الجنسي»، دعت إيريجاراي إلى مراجعة الدور التاريخي للنساء من الناحيتين النظرية والعملية، بيد أن هذا الدور لا يزال يُفسّر على أنه مصير أو قدر تشريحي ، وهذا ما نجده مع فرويد، كما أن هذا الدور محدد من طرف منظمة سوسيولوجية تقليدية (Luce Irigaray, Ethique de la différence sexuelle, 1984, p. 114)، عملت من خلاله على اختزالها ووصفها بالعجز الجنسي (Luce Irigaray, 1977, pp. 29-30).

تُعتبر «نسوية التحليل النفسي» الاتجاه الذي تنتهي إليه لوس إيريجاراي في نضالها ضد الهيمنة الذكورية، والتي نراها متجذرة في اللغة على النحو الذي قدمه التحليل اللاكاني، ولكن رغم اعتمادها على التحليل الذي اقترحه علم النفس، القائم على فكرة أن بداية استعمال وعاء اللغة هو بداية تشكل الذات عند الطفل، إلا أنها لا تتردد في نقدها للتناقضات التي قدمها التحليل النفسي حول المرحلة الأوديبية، التي تُسقط وتُقصي الوجود الأنثوي. (بوحناش عائشة، 2021، صفحة 169).

اعتمدت إيريجاراي على تفكيك الهوية، وهذا ما جعلها تنتهي إلى نسوية ما بعد البنيوية، مثلما هو الحال مع تيريزا دولورتيز وجوديث بتلر، اللواتي أكدن على أنه لا توجد هوية حقيقية للمرأة، لأن هويتها ارتبطت دائما بعلاقات السلطة وأشكال المعرفة التي أنتجت تلك الهوية، كما ناقشت نسوية ما بعد البنيوية فكرة أن هوية المرأة، هي بناء من اللغة، الخطاب والممارسات الثقافية (Lisa Disch & Mary Hawke worth, 2016, p. 356)، بيد أن كل من: ما بعد البنيوية و النسوية تلتقيان في الاهتمام بالسلطة، تمظهراتها واعتماداتها ونتائجها ولغتها، فكلاهما تحدى الثنائيات التي تجسد التسلسل الهرمي الخفي مثل الذكر-الأنثى، كما أن ما بعد البنيوية عارضت عالمية مفهوم الرجل، الذي يدعم الفلسفة الغربية كلها (هوار عبد الله أحمد، 2019، الصفحات 17-18).

وعليه ففلسفة إيريجاراي كانت متنوعة المصادر: أخلاقية، تفكيكية، لغوية، عملت على إعادة تشكيل المفاهيم الفلسفية من منظور نسوي.

2-نقد الحيادية الجنسية في العلم

أولاً: العقلانية الذكورية والتقنية

لقد وصلنا حسب إيريجاراي إلى لحظة حرجة، تتعلق بوجودنا، و مستقبل الكوكب الذي نعيش فيه، وإمكانية العيش للجنس البشري (Luce Irigaray, 2000, p. 50)، لأننا اعتدنا في نظرها على التفكير فيما هو بعيد ومجرد، ولم نهتم بما يحيط بنا، بوجودنا وبأنفسنا، فالحياة المعاصرة التي يشجعها الاتحاد الأوروبي، هي تهديد لقدرتنا في العودة إلى أنفسنا، وبالتالي تبعدنا عن هويتنا البشرية الحقيقية. (Luce Irigaray, 2000, p. 51)

إن خضوع الروح البشرية للتكنولوجيا يجعلنا نعتقد بإمكانية إنكار الاختلاف المرتبط بالجنسين، بيد أن كل من يشدد على أهمية الاختلاف الجنسي، يُتهم بالسذاجة وبالعيش في الماضي (Luce Irigaray, 1993, p. 107)، وهذا بسبب استحواذ المذكر الحيادي على الحقيقة والقوانين العلمية، التي أصبحت محايدة وعالمية، في حين ترك ذاته خارج هذه اللعبة، وخارج الجسد والحتمية المورفولوجية (Luce Irigaray, 1984, p. 172)، فالذات الذكورية وحدها من تملك القدرة على صنع حقيقة علمية، تنسبها إليها، في حين بقيت الذات الأنثوية حبيسة التحديدات الفيزيولوجية.

وعليه فمن الضروري التساؤل عن مكانة الذات في العلم، ومشاركتها النفسية والجنسية في الخطاب والاكتشافات، كما أن الأنثوي اليوم بإمكانه القيام بهذا التساؤل عن طريق اللغة، (Luce Irigaray, 1984, p. 121) حتى يسترجع مكانته الضائعة.

إن كل تأكيد للذات يتم عن طريق المحاكاة الساخرة لتلك الآليات، التي تم بها فرض الأحادية، بوصفها إحالة تمثل اللوغوس داخل الخطاب، ومن ثم الإفصاح عن الأنثوي بالاعتماد على نفس الأدوات التي أفصحت عن المذكر، وهذا لاستعادة مكانة المرأة المستغلة عن طريق الخطاب، دون أن تسمح لنفسها بأن تختزل فيه (بوحناش عائشة، 2021، صفحة 107).

ثانيا: مركزية الذات الذكورية في العلم

تظهر مركزية الذات الذكورية في العلم، من خلال سيطرة الرجل على العلوم المختلفة، فمثلا العلوم الفيزيائية تميزت بموضوعاتها بأنها أكثر صورية، وتعتبر الطبيعة من أهم القضايا التي اهتمت بها هذه العلوم، وهذا ما عرضها أكثر إلى الاستغلال والانحلال من طرف الفيزيائيين (Luce Irigaray, 1984, p. 118).

وكمثال آخر العلوم المنطقية، التي تهتم أكثر بالنظريات المتعلقة بالتكافؤ الثنائي، الثلاثي والمتعدد التكافؤ، ولكن مع ذلك بقيت هذه العلوم مهمشة، وهذا ما أثار التساؤل في نفسية إيريجاراي: هل لأن العلوم المنطقية تُقلق الاقتصاد العقلاني؟ (Luce Irigaray, 1984, p. 119).

وغير بعيد عن هذه العلوم، وجدت إيريجاراي أن العلوم الاقتصادية هي كذلك وقعت في لعبة الحيادية الجنسية، لأنها اهتمت بظاهرة الندرة وبسؤال البقاء أكثر من الاهتمام بالحياة والوفرة (Luce Irigaray, 1984, p. 120)، وهذا لضمان استمرارية الجنس الذكوري بالسيطرة على الطبيعة والكون ككل، كما أن عدم الاهتمام بالحياة والخصوبة سببه استبعاد الأنثوي، لأن المرأة هي بمثابة رمز للوفرة، والخصوبة.

وهكذا توصلت إيريجاراي إلى أن الحياة في عصرنا مُهيمن عليها على نطاق واسع باستخدام العلم وتقنياته، وهذه الهيمنة العلمية تسعى إلى امتلاك: التسمية، الشرعية والبداية، بالإضافة إلى التلاعب بالطبيعة واستغلالها، مع التناسي بأن من يقوم بهذه الأمور هو موجود في تلك الطبيعة (Luce Irigaray, 1984, pp. 120-121)، فمادام الذكر جزءا من الطبيعة، فهو سيتأثر بالدمار والاستغلال الذي يحدث فيها.

لقد منحت العلوم والتقنيات للرجل الإمكانية لتدمير الكون وتهديد البقاء البشري خاصة عن طريق استخدام الذرة التي تؤدي إلى الفناء، وهذا يعني أن السلطة التقنية للرجل استطاعت اليوم أن تفجر الكون، مثلما استطاع هو أن يفرض أفقا نهائيا (Luce Irigaray, 1984, p. 123)

إن نقد المعرفة المطلقة التي يفرضها العلم، أمر ضروري ومطلوب، للكشف عن الذات التي تزعم أنها عالمية من الناحيتين: النظرية والعملية، والتي تتحدث وتكتب بشكل خاص في العلوم، الفلسفة، الدين والسياسة (Luce Irigaray, 1984, p. 117)

لقد بنا الرجل هذا العالم على صورته، وأنشأ جنسانية حيادية، مصطنعة للتقنية، وخاضعة لها، وهذه التقنية تعمل على تمزيق وتجزئة الجسد وتوظيفه لأغراض علمية، للاستحواذ على العالمية والكونية ولكن بشكل عنصري حيادي. ففي وقتنا الحالي يريد الرجل أن يكون مساويا للآلة، فهو بشكل واع أو غير واع يفكر مثلها. وإذا كان تفكيره في حقبة العلم والتقنية يشبه الآلة -في خطابات البيولوجيا، الطب، علم النفس، ونظريات اللغة- ربما كان يجب عليه التساؤل حول بقائه أو صموده لأجل البقاء. ولكن ما هو

السبيل لتحقيق هذا البقاء والرجوع إلى قيم جسدية وتحقيق الازدهار؟
(Luce Irigaray, 1984, pp. 135-136).

3. إتيقا الاختلاف عند إيريجاراي

أولا : مفهوم الاختلاف الجنسي

أكدت إيريجاراي حقيقة الاختلاف الجنسي بقولها: <<الاختلاف الجنسي ربما يمثل السؤال الأكثر كونية ...، إنه علاج لما يواجهه عصرنا، إنه في الواقع يوجد في العالم، أين لا يوجد إلا الرجال والنساء>> (Luce Irigaray, 1992, p. 85).

فالمجتمع يتكون من جنسين «ذكوري و أنثوي» ولا يمكن إنكار هذه الحقيقة الواقعية، لذلك فأي مشكلة تواجهه يتطلب حلها تكاملا بين أدوار الجنسين. وعليه يعتبر الاختلاف الجنسي في نظر إيريجاراي أحد الأسئلة المهمة في عصرنا الراهن، إنه الموضوع الذي يجب علينا البحث والتفكير فيه، خاصة في وقتنا هذا، بيد أنه إذا عُدنا إلى الفلسفة، العلم والدين، فسوف نجد أن سؤال الاختلاف الجنسي لا يزال في طي النسيان (Luce Irigaray, 1984, p. 13).

لقد فكر الوجود البشري في نظر إيريجاراي باستمرار في ذاته، على أساس أنه واحد، فردي، شامل، وهذا ما أوقعه دائما في التراتبية، فالواحد هنا هو بمثابة النموذج الوحيد للمتعدد (Luce Irigaray, 2000, p. 171)، كما أن التقاليد الفلسفية والثقافية للغرب هي عمل لذات ذكورية، تحاول الخروج من العالم الأمومي متشابكة مع الطبيعة، وذلك عن طريق الهيمنة، وليس

من خلال احترام الاختلاف بين الجنسين (محمد بكاي، 2022، صفحة 198)

إن الاختلاف الجنسي عند إيريجاراي هو «اختلاف بين هويتين»، بيد أن النظام الرمزي اعتمد على الاختلاف البيولوجي، ليميّز بين الأدوار الجندرية الذكورية والأنثوية، وبناءً على هذا النوع من الاختلاف حدّدت الثقافة الغربية الأنثى كنسخة متدنية للذكر (Alison Stone , 2006, pp. 4-5)، أي أنها جعلت الاختلاف البيولوجي ذريعة في يدها، لكي تقوم ببناء تراتبية جنسية، تقمع بها الجنس الأنثوي وتحط من قيمته.

إن الاختلاف الجنسي هو أصل، إنه لا ينشأ من حدث سابق (Alison Stone (2006, p. 148)، بمعنى أنه مبدأ غير محدّد بالجانب البيولوجي أو التشريعي، أو أن يكون هذا الأخير أساساً لكل الاختلافات الجندرية، ف«نحن مختلفون جنسياً، وخلافاً لذلك نحن أموات» (Luce Irigaray, 1993, p. 107).

وفي حديثها عن مبدأ المساواة الجنسية، أكدت إيريجاراي أن كل محاولة لإحداث مساواة مطلقة بين الجنسين والبحث عن أرضية مشتركة حيادية، أمر مستهجن، إنه شبيه بالقيام بإبادة جماعية. (Myriam Coté, 2021, p. 209)

تختلف دعوة إيريجاراي إلى ضرورة إرساء مبدأ الاختلاف الجنسي مع موقف النسوية المغربية فاطمة المرينسي من الفروقات الجنسية، إذ أرجعت التمييز بين الجنسين إلى ثقافة المجتمع، وأثر دور البيئة والتربية على النش (سامية بنت مضحي العنزي، 2016، صفحة 230)، أما ديننا الإسلامي فهو يحث

المؤمنين على إقامة المساواة المطلقة ، إذ لا يميز بينهم إلا بدرجة تقواهم.(فاطمة المرنيسي، 2005، صفحة 36).

ثانيا: أخلاقيات الاختلاف الجنسي

تدعو إيريجاراي إلى إتيقا جديدة للاختلاف الجنسي، حيث تُشكك في التصنيف العلمي والاتيقي للهوية الجنسية المجهولة، والتي تتناسل منها الرجولة والأنوثة، كما تعمل هذه الإتيقا الجديدة على الحفر بعمق في البنية المعقدة للعلاقة بين السلبية والفاعلية، و توطيد فكرة العيش معا أو ما يسمى ب: تكامل المختلفين.(محمد بكاي، 2019، صفحة 49). وتتجلى أخلاقيات الاختلاف الجنسي في نظر إيريجاراي في:

أولا: الغيرية

إن القول بوجود غيرية للآخر تعني عدم تملكه أو اختزاله، كما تعني الاعتراف بوجود طرف ثان في العلاقة الأخلاقية، فأنا >> أعترف بك، لذلك فأنت لست الكل، أو أنك ستكون مُهمًا أكثر مما ينبغي، وأنا سأكون مغمورة بعظمتك، أنت لست الكل وأنا لستُ الكل، أنا أقرّ بك لذلك لا يمكنني أن أدور حولك أو أحَدِّك أو أبتلعك... لا يمكنني بشكل كامل أن أحدد هويتك، أن أتماهى بك بالآخرى>>(Luce Irigaray, 1992, p. 161).

على ضوء هذا القول نجد أن الاعتراف بوجود الآخر يعني الإقرار به، و التأكيد على: لامركزية الذات، الاختلاف، أولوية الآخر وتبجيله، إنه يتطلب التنازل عن الأنانية، النرجسية والكلبانية التي تطمس الاختلاف الطبيعي بين الجنسين، مع ضرورة التعالي على التحديد والاختزال الهوياتي.

إن الحديث عن احترام الغيرية يتطلب الاعتراف بأهمية ودور الأمومي، فهو في نظر إيريجاراي مصدر كل حياة، وعليه فإنكار الآخر، الأنثوي، والأم كموجود متميز، سيجعل كل علاقة أخلاقية مستحيلة، إذ إن تجاهل الاختلاف مع الغير وتحديده في العالم انطلاقاً من الذات، يماثل القهر الذي يمارسه الرجال على النساء، وقد وصفت إيريجاراي الذكوري بأنه إدعاء للعالمي، والأنثوي كتحدٍ له.. (Capucine Mercier, 2020, pp. 204-205)

إقامة علاقة أكثر صدقا وأخلاقية مع الثقافة، وبالتالي إعلاء الجانب الروحي في حياتنا، والمرأة بإمكانها القيام بهذه المهمة سواء على المستوى الفلسفي أو السياسي، لأنها تستطيع أكثر من الرجل التوجه إلى علاقات تجمع الاثنين، خاصة في العلاقة مع الآخر. (محمد بكاي و آخرون، 2013، صفحة 444). ولكن هل فعلاً تستطيع المرأة ممارسة السلطة المعرفية في ظل تغلغل الحيادية الذكورية؟

ثانياً: الإيروس

إن الإيروس في نظر إيريجاراي هو: <<تبادل حيوي، تبادل ثقافي: للكلمات، للإشارات... تبادل قادر على التواصل، خارجاً عن كل تبادل للموضوعات>>. (Luce Irigaray, 1992, pp. 80-81)، أي أنه لا ينحصر في الجانب الغرائزي الحسي، والتبادلات المادية، وهذا ما يكسب بعداً أخلاقياً علائقياً.

وضعت إيريجاراي الحب موضع تساؤل: أحب من؟ من أكون أنا لكي أحب؟ من أنا؟ ومن أنت؟ (Luce Irigaray, 1992, p. 218)، وهذا لأن النموذج البطريكي في الحب بقي سائداً، فالحب لا يزال أبوياً، جينيالوجياً، هيرارشياً،

إنه يشبه علاقة الأستاذ بالطالب، يظهر فيه الرجل كسيد والمرأة كتابع (Luce Irigaray, 2002, p. 64)، وعليه فإن إيريجاراي تريد أن تتجاوز هذا المعنى التقليدي الأبوي للحب، الذي يقصي دور المرأة من العلاقة الإيروسية.

تعتبر إيريجاراي الحب بمثابة الوسيط، حيث لا يمكن أن توجد علاقة أخلاقية حقيقية إلا في وجوده بين الواحد والآخر، فنحن ننجذب إلى الآخر، كرد فعل اتجاهه ولكن من غير اندماج أو مزج بينهما، حتى لا يصبح الحب خطراً على وجود الواحد والآخر (Gail M. Shwab, 2011, p. 89)، ومن ثم فالحب في نظر إيريجاراي هو الوسيط الأخلاقي بين الرجل والمرأة، إنه أساس إقامة علاقة أخلاقية خالية من الملكية، الاندماج أو التطابق الهوياتي والتراتبية.

إن نظرة إيريجاراي إلى الإيروس على أنه وسيط أخلاقي ضروري لإقامة علاقة بين الرجل و المرأة، تختلف تماماً مع موقف الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار منه، فالحب في نظرها وسيلة لاضطهاد المرأة وتشويه ذاتها، إنه يجعلها في عبودية تامة وتبعية للرجل، كما يرتبط الحب في نظرها بالحرية، إذ يقوم الحب الأصلي على الاعتراف المتبادل بحريتين، بحيث لن يتخلى أحد عن تساميه. (سيمون دي بوفوار، 2015، الصفحات 442-444).

ثالثاً: الحوار والتواصل بين الجنسين

تدعو إيريجاراي إلى ضرورة تكريس الحوار بين الجنسين، وهذا ما دفعها إلى الاهتمام باللغة، التي تهدف في جوهرها إلى تحقيق التواصل والمشاركة بين الذوات، فالرسالة هنا هي التواصل. (Luce Irigaray, 1984, p. 131).

إن الكلام الذي لا يستخدم لهذا الغرض، هدفه هو مضاعفة الذات فقط، لأن الآخر فيه غير موجود: <<الكلام لا يحتوي على الكوني>> (Luce Irigaray, 1984, p. 166)، أي أنه خال من التبادل بين الذوات، +الأنا والآخر".

وعليه يجب أن نتيح إمكانية الكلام للنساء بقدر ما هو متاح للرجل، ونحرص على السماح أو تشجيع المبادلات بين الأنا والأنثى، بالإضافة إلى عدم حصر المعنى، الحقيقة، الجمال في جنس واحد أي الرجال، وهذا ما يفسح إمكانية أن نطلق ضمير أنا Je على المرأة أو على الرجل، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ضمير أنت Tu، ومنه فإن كل من أنا وأنت سيحمل قيمة متساوية. (Luce Irigaray, 1992, p. 208).

إن الحوار الذي تدعو إليه إيريجاراي يمكن أن يتحقق إذا كان الذكور من جهة أكثر انفتاحا، وأقل تقيدا بالتمثيلات الأنثوية، وكانت الإناث من جهة أخرى أكثر انتباها لتمثيلات الأنا، وأكثر سعيا للتواصل مع الأخريات من جنسهن، ومع الأنثى الذكورية، كما أن إمكانية حدوث هذا التغير في التواصل لا يتحقق إلا بحدوث تغيرات في اللغة. (غيل شواب، 2009، صفحة 205)

يتضح لنا أن سعي إيريجاراي إلى الاهتمام باللغة، غرضه إنشاء لغة وكتابة أنثوية، تعكس الفاعلية اللغوية والمعرفية للمرأة، وتعبر عن ذاتها وإمكاناتها المتعددة.

ثالثا: التعددية الجنسية في العلم وإمكانية التعايش بين الإثنين

تدعو إيريجاراي إلى التعدد الجنسي في العلم، وضرورة الاهتمام بقدرات المرأة العقلية، وعليه فالاعتناء بهذا الأمر أو الرجوع إليه سيكون بمثابة نقطة

مضادة للعالم التقني، كما أن إدراك الرجل ووعيه بهذا الأمر، سيخلق فضاءً جديدا للاختلاف الجنسي، كما سيمكّن الأنثوي من الخروج من تلك اللعبة، وإعطاء الجسد بعدا روحيا مستقلا. (Luce Irigaray, 1984, p. 137)

تهدف إيريجاراي من نقدها للحيادية الجنسية في العلم ، إلى إرساء السعادة الروحية في واقعنا الذي نعيش فيه: <<في الواقع، السعادة سواء كانت خاصة أو عامة، شخصية أو جماعية، هي الهدف الذي كنت أسعى وراءه منذ عدة أعوام>> (Luce Irigaray, 2000, p. 165). ولكن هل يمكن تحقيق هذه السعادة الروحية في واقع مملوء بالحروب والصراعات؟

ترفض إيريجاراي فكرة أن السعادة لا يمكن تحقيقها على هذه الأرض، بحجة أنها تتحقق في عالم ما بعد الحياة، في السماء، لذلك فالسعادة في نظرها ممكنة التحقق، لأن كل واحد منا ذكرا كان أو أنثى وكل المجتمعات البشرية، هي بحاجة اليوم إلى الأصل، و الطاقة التي بإمكانها أن تخلق جسورا بين اليوم والغد، بين الآن والآخرين، كما أن اليأس والكراهية لا يمكنها أن تخلق تلك الروابط، لأنها تستغل الطاقات وتدمرها، وهذا على عكس الأمل والحب، اللذان يجعلان الروابط داخلنا وفيما بيننا ممكنة (Luce Irigaray, 2000, pp. 165-166)

إن السبيل إلى تجاوز الحيادية الجنسية و تحقيق السعادة، أو المشاركة في الطبيعة، والتبادل مع الآخرين، هو الانطلاق من «الوجود اثنان»، لأنه يساعنا بطريقة واقعية وديمقراطية، في التخلص من الفضاء الواحد الذي يُلغي الإثنين ويدمر الفردية (Luce Irigaray, 2000, p. 170).

إن فكرة إيريجاراي القائلة بأن الانتماء إلى جنس معين يتنافى مع الكل (Luce Irigaray, 1992, p. 91)، دليل على أن كل ذات بشرية لا يمكنها أن تمثل كل الوجود، بل نصفه فقط، لأنها جزء من الكل، ومادام الجنس البشري نصفان، فلا مجال للحديث عن جنس واحد، مطلق، ثابت، يهيمن على كل شيء.

ومن ثم لا يمكن لكل من الرجل والمرأة أن يكونا الشمولية، فكل نوع يمثل جزءا، وتشير إيريجاراي إلى أن هذا الواقع -الذي يرفض الشمولية أو الكلية- هو بسيط جدا، ولكنه بعيد عن طريقتنا في التفكير (Luce Irigaray, 1992, p. 69)

إن بناء علاقة بين ذاتية أخلاقية، مرتبط بتخلي الذات عن امتلاكها للمعرفة والحقيقة، وهيمنتها على كائن آخر أو على العالم، فكل ذات لا تمثل الكل، بل هي جزء من التجربة الإنسانية، وعدم القيام بذلك يعني تكوين ذات فردية، واحدة، أنانية، متمركزة حول أنها، كما قد تتشكل الإمبريالية أو إرادة الهيمنة، وإزالة الآخرين والثقافات الأخرى، مع عدم الاعتراف بوجودهم، (غيل شواب، 2009، صفحة 198). ولكن هل اختزال الاختلاف الجنسي في نموذج الثنائية هو تجاوز فعلي للواحدية و الكليانية التي انتقدتها، أم أنه إعادة إنتاج لها؟

أكدت الفيلسوفة الأمريكية دروسيل كورنل أن إيريجاراي اختزلت الاختلاف الجنسي في نموذج لكائن مزدوج (عبد النور إدريس، 2013، صفحة 122)، فرغم أنها حاربت نموذج الواحد الذكوري، إلا أنها وقعت في نمذجة الاثنين،

فالنموذج "امرأة-رجل" يتميز بالكونية والمطلقية، ويصدق على كل شيء موجود.

وهكذا فإننا حسب إيريجاراي بحاجة إلى فلسفة للطبيعة، التي تؤيد أو تدعم التصورات المتعلقة بالتعددية والثنائية الجسدية، فالأجساد البشرية التي تقوم على توافق الثنائية والتعددية، يجب أن تنبع من فلسفة الطبيعة (Alison Stone , 2006, pp. 124-125). ولكن إذا طبقنا أخلاقيات الاختلاف الجنسي على واقعنا العربي الإسلامي، هل بإمكانه أن يحرر الإنسان العربي من الحياد الجنسي؟

تجيب النسوية المسلمة الأمريكية الأصل آمنة ودود بأن القرآن الكريم هو وحده القادر على معالجة كل قضايا البشرية، لأنه يتضمن جميع القيم والأخلاقيات السامية، كما أنه المقياس المعياري الذي يحل وضع المرأة في المجتمعات الإسلامية، خاصة إذا تم تطويعه ليتناسب مع وضع المرأة المعاصر، وعليه فأني مصدر آخر غير القرآن هو تعزيز للتحيز والتمييز بين الجنسين (سامية بنت مضحي العنزي، 2016، الصفحات 403-404)، وفي كتابها القرآن والمرأة أكدت على وجود مساواة مطلقة بين الرجل والمرأة، فكلاهما نوعان من الجنس البشري، لهما اعتبارات متساوية كما وهبوا نفس الإمكانيات (Amina Wadud, 1999, pp. 8-15)، وهكذا عوضت آمنة ودود مبدأ الاختلاف الجنسي بمبدأ المساواة الوارد في القرآن الكريم، فهو السبيل في نظرها لتحرير الواقع العربي من الانغلاق والحيادية.

خاتمة

إن مشروع إيريجاراي الداعي إلى تجاوز الحيادية الجنسية في العلم ،ماهو إلا محاولة راديكالية لإعادة التفكير في الحياد ،الاختلاف والسلطة، سواء في الحقل العلمي أو الاجتماعي.

إن إدعاء الحيادية الجنسية في العلم ليس إلا إعادة إنتاج لصيغة ذكورية ،تقدم ذاتها كمعيار كوني للعقل والمعرفة ،وعليه فقد كشفت إيريجاراي على أن الحقل المعرفي لا يشغل من عدم، بل بُني على أنساق رمزية ذكورية ألغت الوجود الأنثوي، لذلك يتجاوز المسألة الموضوعية للعلم ،من أجل فضح الترابط بين الخطاب العلمي و السلطة الذكورية

غير أن هذا النقد لا يتوقف عند حدود التفكير ،بل يتجه نحو تأسيس نموذج جديد ،وأفق بديل يتمثل في إتيقا الاختلاف الجنسي، لإعادة بناء العلاقة البينذاتية ،على أساس احترام الغيرية والاعتراف المتبادل بين الإثنين،ولكن مشروع إيريجاراي يعيد طرح إشكال جديد :هل يفتح نموذج الاختلاف الجنسي مجالا لتجاوز المنطق الأحادي في الفلسفة والعلم، أم أنه سينتج ثنائية مغلقة بين الرجل والمرأة؟

إن ربط العلم بالاختلاف الجنسي يثير تساؤلات حول إمكان بناء علم ذو حس جندي دون الوقوع في النسبية، فهل يمكن للعلم أن يحتفظ بموضوعيته الصارمة و مصداقيته المنهجية مع الاعتراف بتعدد مواقع الذات المنتجة للمعرفة؟ هل يمكن للذات الأنثوية أن تساهم في بناء مفاهيم علمية بديلة؟

وهكذا يكشف تحليل خطاب إيريجاراي أن نقد الحياد الجنسي في العلم ليس تفكيكا لمفاهيم معرفية فقط ،بل هو زحزحة جذرية لمنطق التماثل والهيمنة

الذي حكم العلاقة بين الذكورة و الأنوثة في الفكر الغربي. ورغم ما يتيح
الاختلاف الجنسي من أفق للتحرر الذاتي ، فإن هذا الطرح لا يخلو من
مفارقات فلسفية، فهل يمكن فعلا تأسيس معرفة علمية محكمة
بأخلاقيات في واقعنا الراهن؟ .

قائمة المراجع:

- بكاي محمد . (2017). أرخبيلات ما بعد الحداثة، ورهانات الذات الإنسانية،
من سيطرة الانغلاق إلى قرار الانعتاق، ط1. لبنان: دار الرافدين، بيروت.
- بوحناش عائشة. (2021). النسوية ومقولات التحليل النفسي: من التحليل
البيولوجي إلى التأسيس للاختلاف الجندري. مجلة رؤى للدراسات المعرفية
والحضارية، 7(1).
- سارة جامبل. (2002). النسوية وما بعد النسوية، ط1. (ترجمة أحمد
الشامي، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- سامية بنت مضحي العززي. (2016). الاتجاه النسوي في الفكر المعاصر،
دراسة نقدية، ط1. الرياض: مركز باحثات لدراسات المرأة.
- سيمون دي بوفوار. (2015). الجنس الآخر، "التجربة الحياتية"، ط1.
(ترجمة سحر سعيد، المترجمون) دمشق: الرحبة للنشر والتوزيع.
- عبد الله أحمد هوار. (2019). ما بعد الحداثة، البنيوية والنسوية، ط1.
عمان: دار عنداء للنشر والتوزيع.
- عبد النور إدريس. (2013). النقد الجندري، تمثلات الجسد الأنثوي في
الكتابة النسائية، ط1. عمان: دار فضاءات.
- غيل شواب. (2009). الاختلاف الجنسي كنموذج، علم الأخلاق لأجل
المستقبل العالمي، ثنائية الكينونة، النسوية والاختلاف الجنسي، ط2، (كتاب
جماعي). (تر: عدنان حسن، المترجمون) سوريا: دار الحوار.

- فاطمة المرينسي. (2005). ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ط4. (ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المترجمون) المغرب: المركز الثقافي العربي.
- محمد بكاي. (2019). جدل النسوية، ط1. الرباط: دار الأمان.
- محمد بكاي. (2022). مديح الاختلاف، دراسات في فلسفة الكتابة وسياسات الهوية، ط1. لبنان: دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت.
- محمد بكاي، و آخرون. (2013). سؤال الآخر، الغيرية وإشكاليات الهوية النسوية عند إيريجاراي، نضالات الذات النسوية أمام الهيمنة الذكورية، الفلسفة والنسوية، تحرير علي عبود المحمداوي، ط1. الرباط: دار الأمان.
- Alison Stone . (2006). *Luce Irigaray and the Philosophy of Sexual Difference*. New York: Cambridge university press.
- Amina Wadud. (1999). *Quran and woman*. New York: Oxford University Press.
- Capucine Mercier .(2020) .La chair du monde vue par Luce Irigaray et Judith Butler, portée éthique de l'ontologie du visible et de l'invisible .*revue pares , université Laval*.(01)21 ،
- Eleanor H ، و Kuy Kendall .(1989) .Introduction to »Sorcerer love «by Luce Irigaray, Hypatia, special issue French feminist philosophy .*A journal of feminist philosophy*.(03)03 ،
- Elspeth Mitchel .(بلا تاريخ) .*To Be Born a Girl? Irigaray Sexuate Identity and the Girl , Towards a New Human Being, Palgrave Macmillan, (collective book.,(*
- Gail M. Shwab .(2011) .*Beyond the vertical and the horizontal spirituality, space, and alterity in the work of Luce Irigaray, thinking with Irigaray, (collection book.*(New York: state University.
- Lisa Disch ، و Mary Hawke worth .(2016) .*The oxford hand book of feminist theory*.New York: oxford university press.
- Luce Irigaray .(2002) . *Between East and West* .trans Stephen Pluchacek (المترجمون) ،New York: Columbia University Press.

- Luce Irigaray. (1977). *Ce Sexe Qui n'en est Pas Un*. Paris: les éditions de Minuit.
- Luce Irigaray. (1984). *Ethique de la différence sexuelle*. Paris: les éditions de Minuit.
- Luce Irigaray. (1992). *J'aime à toi*. Paris: édition Grasset et fasquelle.
- Luce Irigaray .(1993) .*Sexes and Genealogy* .trans Gillian C. Gill (المترجمون) New York: Columbia University Press.
- Luce Irigaray. (2000). *Democracy Begins Between Two*. (t. b. Anderson, Trad.) London: the Athlone press.
- Myriam Coté .(2021) .Ecrire comme une femme Cixous et Irigaray après le dépassement du genre, la rationalitédesémotions .*revue phares, university Laval*.(01)21 ‘
- Simon Glendinning .(1999) .*The Edinburgh encyclopedia of continental philosophy*.Edinburgh university press.□